أمثلة قريبـــة

من منابع الثروة المهملة

مدينة حلوان — وادى حوف — غابة المقطم

كلمة عامة :

نحن دائبو الشكوى من الفقر، ومن تأثيره فى حياتنا الاجتماعية والصحية، وقد تضاءل متوسط الدخل الفردى حتى هبط إلى نحو تسعة جنيهات فى العام ، وهو مستوى شديد الانخفاض حتى بالقياس الى أفقر الشعوب .

ولكن مصر — فى الحقيقة — ليست فقيرة إلى هذا الحد ، فهناك موارد كثيرة للاستغلال ، ومنابع كبيرة للثروة ، لو أنها استخدمت لغيرت هذه الحال ، ولرفعت مستوى الثروة القومية ، ومستوى الدخل الفردى تبعا لذلك .

ولقد تحدثنا فى أعداد سابقة عن بعض المنابع الضخمة للثروة المصرية ، وعن الطرق المؤدية لاستغلالها، وعن المبالغ الكبيرة اللازمة لها، وعن الوسائل التى يمكن أن تجمع بها هذه المبالغ ، ولو نفذت هذه المشروعات أو بعضها لانتقلت مصر من حال إلى حال . وهـذه المشروعات هى إصلاح جميع الأراضى القابلة للاستصلاح ومساحتها نحو ثلاثة ملايين من الأفدنة ، وكهربة خزان اسوان، واستخراج المعادن المختلفة، وقيام الصناعات الزراعية...الخ. وهى تتطلب حوالى مائتى مليون من الجنيهات .

وقد يبدو أن المشروعات الاقتصادية كلها بهذه الضخامة ، وفى حاجة الى هذه المقادير الكبيرة من النقود التى يتعذر جمعها . فيجب أن نقول اليوم : إن هناك بجوار هـذه المشروعات الهائلة مشروعات أخرى قريبـة المتناول وقليلة النفقات ، واستغلالها مربح لا شك فيه .

وليست المنابع التى وردت فى عنوان هذا المقال إلا أمثلة لهـذه المشروعات الصغيرة القريبه، التى يمكن القيام بها فى سهولة ويسر بين آن وآن . وسنتحدث هنا ببعض الإسهاب عن كل مشروع من هذه المشروعات الثلاثة ، ثم نتبعها فى الأعداد التالية بأمثلة أخرى من منابع الثروة المهملة فى البلاد .

١ — مدينة حلوان

مصر بلد من بلاد السياحة الشتوية ، والسياحة وحدها مورد كبير من موارد الرزق لعدد كبير من السكان ، ولكن هذا المورد غير معتنى به العناية الكافية فى مصر . وعلى كل حال فليس هذا موضوعنا ، ولكنا نلمسه لمسا فقط من بعيد بمناسبة الحديث عن مدينة حلوان وهى من المدن التى يقصدها كثير من السياح فى كل عام ، فيجدون أن كل شىء فيها من صنع الطبيعة حسن ، ولكن يد الانسان قد تركته للإهمال !

لو كانت حلوان هذه فى أى بلد من بلاد العالم لجعلها مدينة الذهب ، فلم يجتمع لبلد من بلاد العالم ما اجتمع لها من طيب المناخ ودفء الجو والمياه المعدنية على اختلافها ، ولم تهمل مدينة من مدن الاستشفاء فى العالم مثلما أهملت حلوان !

ومن النوادر التى سمعناها قصة أحد باشواتنا الذى ذهب الى النمسا ليستشفى من مرض روماتزمى عند أحد أطبائها المشهورين ، فلما علم الطبيب أنه مصرى أخذته الدهشة وتملكه العجب ، من أن يحضر مثل هذا " ال ... ... باشا " للاستشفاء فى النمسا وهو من مصر وبها حلوان الحمامات !

والحديث عن مزايا حلوان كمدينة من مدن الاستشفاء ومشتى من أحسن المشاتى ، حديث مكرر معاد ولكنا نقول : إن لهذه المدينة ميزة أخرى فى موقعها ومنظرها ، فهى مدينة جبلية صحراوية فى واد مخضر ، وهذا يجعل لها من وجهة الجمال قيمة أخرى ، ويجعلها مرتادا لطلاب المناظر الجميلة ممن يثقل عليهم تشابه الوادى والخضرة والسهولة والامتداد

وندع هذا لنذكر كلمة مختصرة عن عيون حلوان ، لندرك مدى الإهمال العجيب للموارد القومية والاسراف بل السفه الذى كنا نبعثر به هذه الموارد فى الماضى القريب

كان المعروف للجيل الحاضر — إلى ما قبل أربع سنوات — أن عيون حلوان هى عيون كبريتية تشفى من الأمراض الجلدية والروماتزمية ، وهى التى تقوم عليها الحمامات الشهيرة .

ومنذ أربعة أعوام نبعت عين جديدة تركناها مهملة لبضعة أيام ، ثم حاول بعض المجرمين أن يطمسها فتغلبت على ارادتهم المجرمة وقذفت بالأحجار والأسمنت الذى طمسوها به وتفجرت من جديد ، وهلل الجمهور لانتصار النبع الطبيعى على ارادة المجرمين ، فالتفتنا إلى هذا النبع وأخذنا فى تنظيمه بعد الاهمال . وهو نبع ملحى كتب بعض الأطباء عن فوائده التى سنذكرها بعد .

ويقع فى أيدينا كتيب قديم مهمل ردىء الطابع من تلك الكتب المجهولة التى تباع على عربات اليد فى مجاهل القاهرة عنوانه : " وضوح البرهان فى فضائل ومزايا حلوان " تأليف "أحمد عبد العزيز مدرس الطبيعة الكيميائية والتاريخ الطبيعى والحكمة العملية بمدرسة دار العلوم " مطبوع " بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣١١ هجرية الموافق سنة ١٨٩٤ ميلادية " فنعلم أن هذه " العين الجديدة " ليست جديدة ، وانها كانت معروفة فى سنة ١٨٩٤ أى منذ نصف قرن ، وكانت هناك عين ثالثة لا وجود لها الآن ! وإلى القراء نبذ مما ورد عن عيون حلوان فى هذا الكتاب .

" يوجد بحلوان عدة ينابيع يخرج منها مياه معدنية متحملة بجواهر مختلفة ، ومياهها على ثلاثة أنواع ، كل منها يخرج من ينابيع مخصوصة ، وهى المياه الكبريتية ، والمياه الحديدية ، والمياه الملحية " .

وقد حدد موضع كل عين من العيون الثلاث ، فأما العين الكبريتية فهى فى مكانها المقامة عليه الحمامات ، وأما المياه الملحية فحدد مكانها بأنه على " بعد ألفى متر بحرى المدينة بجوار شريط السكة الحديدية " وهو نفس المكان الذى نبعت فيه العين " الجديدة " كما نسميها الآن ، وأما المياه الحديدية فقال : يوجد ينبوعان فى الجهة البحرية الغربية للمدينة على بعد ٤٠٠ الى ٥٠٠ متر من السراى الخديوية " وهى غير معروفة الآن ! .

وورد فى هذا الكتيب عن طبيعة هذه العيون وفوائدها ما أذكر هنا بعضه . جاء عن المياه الكبريتية : أن هذا النوع يحتوى على حمض الكبريت بكثرة وهو الذى يعطيها الرائحة المخصوصة ... ويؤخذ من رسالة الدكتور حسن باشا محمود وغيره أنها تستعمل فى الأمراض الجلدية كالحكة والصدفية والقوب المزمن وحب الشباب والجذام والبرص والجرب وداء القمل والقراع . وفى الأمراض الخنازيرية بأنواعها كالعقد وأورام العظام والأمراض الأفرنجية ، والأمراض الروماتزمية كوجع المفاصل والركب والروماتزم العضلى ، وأمراض الصدر كالنزلات والسعال المزمن وداء الربو غير المصحوب بآفة فى القلب ، والاحتقانات كاحتقان الكبد والطحال والكلى ، وأمراض الجهاز التناسلى البولى كاحتقان الخصية عند الرجال وعدم الحمل عن أمراض الرحم عند النساء ، وفى الشلل والفالج وشلل الحس والحركة وكساح الأطفال ، وبعض الأمراض العصبية كعرق النسا ، والضعف وفقر الدم غير المتعلقين بمرض القلب .

وجاء عن المياه الحديدية : أن هذا النوع يحتوى على الحديد وعلى حمض الكربون (الغاز الفوار فى المياه الغازية) ويستعمل فى فقر الدم وطعمه مقبول يسهل الهضم كمياه كارلسباد ويستعمل فى أمراض المسالك البولية وأمراض الكبد . وقد ذكر مؤلف الكتاب أن الذى اكتشف هذه العين هو خديو مصر السابق (توفيق) . ومع ذلك فلا يعرف أحد الآن مقرها !

أما المياه الملحية (العين الجديدة) فقد جاء عنها : إن ماءها ملحى محتو على كبريتات وكلورورات وكربونات وهو مسهل ويشبه فى الطعم لماء (راكوكسى) ويستعمل فى أمراض الجهاز الهضمى كالنزلات المعدية والمعوية والإمساك المستمر وضعف الهضم ، وأمراض الكبد والطحال ، واحتقانات المخ ، وأمراض القلب .

وحينما عاد هذا النبع للظهور فى أبريل سنة ١٩٣٩ قدم عنه الدكتور "كلوفيس موصللى" عضو الجمعية الفرنسية للجراحة بباريس وكبير أطباء قسم الولادة بجمعية الاسعاف تقريرا جاء فيه :

" بعد عدة أبحاث تبين أن هذه العين هى عين حارة معدنية ، واتضح من تحليل مياهها أنها خالية من الميكروبات على اختلاف أنواعها ، وبذلك تكون صالحة للشرب ، ونظرا لخلوها من الميكروبات وانعدام سميتها ، فإن مياه هذا الينبوع التى يتدفق منها نحو ألف متر مكعب كل ٢٤ ساعة مفيدة جدا ، ويمكن الانتفاع بها كمورد إضافى لمياه النيل خلال الفيضان ، أو حتى على طول السنة .

" ولقد أثبت الدكتور " أندريه تاجر " فى أبحاثه التى قام بها تحت إشراف حضرة صاحب السعادة الدكتور سليمان عزمى باشا ، والتى نشرت فى مجلة الجمعية الطبية الملكية عدد شهر نوفمبر سنة ١٩٣٩ أن التجارب الاكلينيكية ، قد أسفرت عن أن مياه هذه العين ذات فائدة فى علاج أمراض القناة الهضمية وأمراض الكبد ، وقد أفادت فى القضاء على لبولينا فى الدم والبول ، وقد تبين أنها صحية وعلاجية بغض النظر عن ارتفاع نسبة كلورور لصوديوم . ولكن لا ينصح باستعمال هذه المياه للمصابين بالكلى بالنسبة لمشمولها من كلورور لصوديوم (٢,٥ فى الألف) .

فهذه ثروة من العيون المعدنية وحدها فى حلوان يمكن استغلالها فى نطاق واسع ، لا على لنحو الضيق الذى تستخدم به العيون الكبريتية وحدها . والذين زاروا مدن الحمامات ى أوروبا يذكرون الفارق الكبير بين المنشآت والترتيبات المتخذة للانتفاع بهذه الحمامات هنا وهناك ، ويذكرون أن نظام الحمامات والترتيبات الصحية المتخذة هناك ، وتسهيل طرق لوصول إليها ، وإحاطتها بوسائل التسلية بجانب وسائل العلاج . . . كل أولئك يجلب لسائحين والمستشفين ، ويضاعف ما يعود على السكان الأصليين من الفائدة ، وعلى الدولة ن المنفعة .

فإذا نحن اهتدينا إلى العيون الحديدية وأضفنا إليها العيون الملحية التى كشفت حديثا ، وأحسنا استغلالها فى الزجاجات المعبأة على نحو مياه فيشى وكارلسباد ، وأنشأنا الحمامات للسباحة وبجوارها الفنادق والمتنزهات ووسائل التسلية ، ضاعف هذا كله من عدد الرواد ومن فائدة الاستغلال .

ولكن هذا كله لا يتحقق ومدينة حلوان الثمينة مهملة هذا الإهمال فى طريقها الحديدى وفى أفاريزها الرملية وفى خلوها من جميع وسائل اللهو والرياضة فيما عدا "حديقة اليابان" .

ولعله من المضحك أن تنشر الأهرام فى النبذ التى كانت تكتبها بعنوان " منذ خمسين سنة " أن هناك مشروعا لكهربة خط حلوان ، ثم تنشر فى هذه الأيام أن هناك مشروعا لكهربة خط حلوان أيضا !

ويبدو أن كهربة هذا الخط «طلسم» مسحور لا يفك سحره ؛ ويهمس الكثيرون بأساطير شتى عن هذا الطلسم ؛ وينتظر الكثيرون ذلك الساحر الموعود الذى يفكه ، والذى لا تجود به الأيام ، لأن هناك من يهمه أن يبقى هذا الطلسم كما كان !

٢ — وادى حوف

وادى حوف منبع آخر من منابع الثروة المهملة . ويقع هذا الوادى الى الشمال الشرقى من مدينة حلوان فى قلب الصحراء وهو واد جميل يعرفه من يقوم ببعض الرحلات المدرسية وغير المدرسية ؛ ولكنه ملقى هنالك فى الصحراء ، موحش مقفر ، لا يطرقه الناس إلا فى بعض الرحلات .

والمشروع الذى نقترحه لهذا الوادى أن تقام فيه « استراحة » مثل استراحة « شل » فى الطريق بين القاهرة والأسكندرية يأوى اليها طلاب النزهات الخلوية فى عصارى أيام الصيف ولياليه المقمرة ، وطلاب الرحلات الشمسية فى الشتاء .

ومما لا شك فيه أن هذه الاستراحة ستجد الرواد الكثيرين الذين يمرون سراعا أو يتريثون بعض الأيام والليالى وستكون مكانا مرغوبا فيه لندرته ونذرة أمثاله فى مصر ذات الأضحيات المشمسة والأمسيات المقمرة الضائعة كالهباء بسبب الإهمال .

ومما يذكر هنا أن هذا الوادى يقع مقابلا للينبوع الجديد فى حلوان فيمكن أن تمد الاستراحة هنا بمياه النبع فى أنابيب وبذلك يتحقق لرواده غرضان : غرض النزهة وغرض تناول هذه المياه المعدنية المفيدة . ويمكن الشركة التى تعهدت باستغلال العين الجديدة ، أن تقوم هى نفسها بمشروع استراحة وادى حوف .

وسيعود على الحركة التجارية والعمرانية فى مدينة حلوان بالرواج ، فما بال اتحاد الملاك فى حلوان لا يفكر فى مثل هذه المشروعات المفيدة الرابحة ؟ أغلب الظن أن الملاك هنا قد يئسوا من كل إصلاح للدينة ، لأن الطلسم لا يحل ولا يجد الحلال .

٣ — غابة المقطم

قيل فى وقت من الأوقات وكان ذلك قبل الحرب بأعوام إن هنالك مشروعا لإنشاء غابة من الأشجار على حدود القاهرة فى سفح المقطم ثم نام المشروع كمعظم المشروعات النافعة التى لا ينقصنا الانتباه لها ولكن تنقصنا الهمة لتنفيذها .

وهذا المشروع ذو قيمة استغلالية وقيمة صحية وقيمة رياضية وفنية . فأما من ناحية الاستغلال فما نعانيه اليوم من أزمة الأخشاب ومواد الوقود عامة كفيل بأن يفتح أعيننا على ضرورة مثل هذا المشروع وعلى فائدته الاستغلالية العظيمة . وحسبنا أن نشير الى أن صناعات غرس الأشجار وقطعها وإعدادها واستخدامها ، كان يمكن أن تستغل عددا كبيرا من الأيدى ومن رءوس الأموال ، فضلا على الربح المادى والاقتصادى فى حياة البلاد .

وأما من الناحية الصحية ، فحسبنا أن نقول إن القاهرة من أقذر العواصم بسبب الرمال التى تذروها الرياح عليها من الصحراء ، هذه الرمال التى تسبب مع القذارة العامة أمراض العيون بنسبة عظيمة . وإقامة مثل هذه الغابة على حدود المدينة كفيلة بمنع هذه الرمال عنها ، فضلا على تلطيف جوها القارى فى فصل الصيف بحجب موجات الحر اللافحة التى تهب عليها من الصحراء الشرقية .

وأما من الناحية الرياضية والفنية ، فإن وجود هذه الغابة يجعلها مرتادا للمتنزهين وطلاب الصيد الخفيف ويوجد منظرا جميلا تقع عليه العين ويرتاده الخيال . وليس هذا بالقليل فى حساب الأمم التى تدرك معنى الرياضة ومعنى الجمال .

* * *

إن امثال هذه المشروعات يبدو صغيرا . ولكن مائة منها تحدث تغييرا جوهريا فى حياة البلاد وفى ثروتها وفى صحتها وفى ذوقها وفى فنها . وليس هذا كله بالأمر التافه ولا بالربح القليل .